مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 671–683	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

ما بعد الحداثة وتجاوز الأنساق

POSTMODERNISM AND THE TRANSCENDENCE OF PARADIGMS

عبد القادر عويسي

مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر

abdelkader.aouissi@ummto.dz

نبيل محمد صغير

مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر

Nabil.mohamedseghir@ummto.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/12 تاريخ القبول: 2026/09/26 تاريخ النشر : 2026/09/30

المؤلف المراسل: عبد القادر عويسي، abdelkader.aouissi@ummto.dz

ملخص:

إن عقلنة الظواهر الكونية وجعل الإنسان مركزا فيها من أهم الدعائم التي بنت عليها الحداثة هيكلها؛ وفق استنارة أظلمت بعد التوسع في عملية تقصي الأحداث وتتبعها؛ لتكشف تناقضاتٍ داخلية فككت كل الأسس الثابتة والمطلقة وفق فلسفة ما بعد حداثية فتحت المجال أمام التأويل وتعدد المعاني؛ حتى تطبق إجراءاتها في تتبع صيرورة حركة الدلالة وكشف أنساقها، وهذا ما أظهره التحليل التداولي لمسرحية حصاد كونجي لوول شوينكا، إذ أبرز كيفية اشتغال الشخصيات والسياقات المتنوعة لأجل إنتاج المعاني وتعددها دون الانغلاق على تفسير واحد.

الكلمات المفتاحية:

الإرجاء؛ التداولية؛ الحداثة؛ المسرح؛ ما بعد الحداثة

Abstract:

The rationalization of cosmic phenomena and the centralization of the human being within them represent foundational pillars upon which modernity built its structure. This process, initially driven by enlightenment ideals, eventually descended into darkness as the relentless pursuit and investigation of events exposed internal contradictions. These contradictions dismantled the fixed and absolute foundations through a postmodern lens that embraced interpretive openness and semantic plurality. This philosophical shift allowed for the tracing of meaning's progression and the uncovering of its patterns. Such dynamics are clearly illustrated in the pragmatic analysis of The Harvest of Kongi by Wole Soyinka, which reveals how characters and diverse contextual elements collaborate to produce layered meanings, resisting confinement to a single, unified interpretation.

Keywords:

Deferral; Modernity; Postmodernism; Pragmatics; Theatre.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 671–683	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

إن ظهور الحداثة صاحبه انقلاب على التقاليد التي سبقتها واستثمار الجيد منها دون القطيعة معها نهائيا، غير أنها خضعت في تسيير شؤونها إلى عقلانية فسرت أحداثها، وهذا ما ميّز إستراتيجية الميتافيزيقيا الخاصة؛ فاتخذت من الاستنارة الناتجة عن ذلك دليلا يجعل الإنسان يهيمن على الطبيعة ويفسر أنساقها من غير الحاجة لطرف بديل يشاركه السلطة ذاتها، ليتمكن بعدها من إنتاج المعارف واستنتاج مفاهيم يحكم بها عالمه، دون معزل عن التاريخ وفلسفته في استثمار الدلالات وجعلها لصالح هيمنته.

ومن ثم فإن عقلنة الدراسات الحداثية قد مكن لسيطرتها على تسيير الأسس التي بنت على إثرها هيكلها، إلا أنها كانت سببا في إحداث أزمة داخلية أثرت على المنهج العام الذي تسيّر به تطورات الأمور، حين صيرت الإنسان مع التطور العلمي آنذاك يتجاوز بعض الحقائق التي اعتبرت سابقا مركزيات لا يمكن الخروج عنها، فانكشفت مجموعة ثغرات أضحت سببا لكشف التناقضات داخل المشروع الحداثي فظهر ما يسمى بالاستنارة المظلمة التي أفصحت عن الوهم الذي كانت تدعو إليه الحداثة، لتتم على إثرها عملية تجاوز الثنائيات الضدية مع الوقوف على الاختلالات التي وقعت فيها الافتراضات الفلسفية المشكلة لأسس ومبادئ الحداثة من خلال أحكام ثابتة ومطلقة قوضتها فلسفة ما بعد حداثية، إذ جعلت الدلالات متعددة وغير ثابتة ومعانيها مؤجلة، وهذا ما صاحبه تفكيك للسرديات الكبرى وثنائياتها الضدية واستبدالها بقضايا أكثر واقعية تجسدت عبر السرديات الصغرى ومفاهيمها.

لقد آذنت الثورة على التقاليد الكلاسيكية بظهور مشروع تفكيكي تطلعا لتعزيز قيمة الإنسان وكرامته، لتنتهي به قبل ذلك إلى وعي إيديولوجي يفضي به إلى الكمال وامتلاك الطبيعة والتصرف فيها حسب رغباته، و من هذا المنطلق قد اعتبرت الحداثة نفسها مؤَسسةً بمعايير وقواعد يفترض فصلها دون قطيعة عن كل تقليدي لتغدو متعالية عن ما سواها، فانطلقت في تفسيرها للمفاهيم بطرق تقليدية وميتافيزيقية حتى يتم تشرب معانيها ومسايرتها حسب ما يقتضيه الواقع.

من هنا يتضح لنا أن الحداثة بجذورها قد تقوقعت بين القوى الميتافيزيقية واللاهوت والصراع الحادث بينهما وتبعاته، وهذا ما كشفت عليه الثورة الإسمانية [1] إذ أسست لواقعية دون أن تلغي الشمولية ذاتها؛ فركزت على الجزيئات دون الكليات وأحدثت آثارا يشكل الخروج منها وتجازها ما يسمى بالحداثة.

وتعتبر مسرحية حصاد كونجى لوول شوينكا حقلا خصبا تجلى فيه تقويضٌ لمفاهيم مركزية دعت إليها الحداثة، ونذكر منها قضية إرجاء الدلالات وتعددها، حين كرست لهدم المعاني التي تدعو للمطلق والحتمي منها.

وهنا نطرح عدة إشكالات، من بينها: كيف يمكن رصد حركة الدلالة في مسرحية حصاد كونجى لوول شوينكا؟ وما هي الإستراتيجيات المتبعة في ذلك؟

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 671–683 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

وعليه ، فبحثنا هذا قد تضمن – في تعامله مع موضوع ما بعد الحداثة وتجاوز الأنساق – جمعا بين النقد الثقافي من جانب والتحليل التداولي من جانب آخر ، ونرى أن **النقد الثقافي** في مسايرته لتوجهات تيار ما بعد الحداثة باللجوء إلى آلية **تأجيل المعاني وإرجاءها** قد أكد على انفتاح الدلالات وعدم ثباتها؛ فلا يمكن تحديدها إلا بالاختلاف وبالرغم من ذاك تبقى هذه المعاني مؤجلة دون أن تكتمل بصورة نهائية، لتُحدث بذلك ثورة داخل الأنساق وتعلن تأسيس عملية تأويلية ستتيح الكشف عن المضمر منها وتحدد ماهيتها الممكنة.

إذ نجد العملية التحليلية قد قامت حسب **المنهج التفكيكي** حين سعى لتحديد الثنائيات الضدية الواردة في النصوص ليكشف أهم التناقضات التي يرنو السارد توضيحَها للمتلقي ضمن خطابه؛ فيؤكد بذلك طريقة تشكل الدلالات الخاضعة لمختلف التغيرات والتأجيلات دون اعتمادها على شكل نهائي، بتبيان أهم المركزيات وربطها بظروف نشأتها وأهم الإستراتيجيات المساهمة في تقويضها داخل المسرح المعاصر خاصة من جانب تعدد الدلالات وانفتاحها عكس الواحدية التي تجذرت سابقا، وهذا ما استُند عليه في مساءلة هذه المركزيات لتمكين الطرف المهمش من التمأسس والتموطن.

أما بالنسبة **للتحليل التداولي** يتراءى لنا أنه ينطلق من المتكلم تجاه المتلقي لغاية خطابية تراعي السياق الواردة فيه؛ وذلك عبر دراسة أفعال الكلام وتبيان دورها في إنتاج الدلالات بعد اقتراح افتراضات يؤسسها الاستلزام الحواري إثر خرق قواعد مبدأ التعاون لبول غرايس، وهذا ما يجعل المخاطَب مقتفيا للمعنى المنتقل من ظاهريته إلى الدلالة الكامنة بالاعتماد على عملية التأويل.

2. تحوّلات الحداثة وأسئلتها الفلسفية

1.2 الحداثة والميتافيزيقيا:

الجدير بالذكر في هذا المقام أن نبين علاقة الميتافيزيقيا بالحداثة عبر ما قدمه مايكل ألين جيليسبي لّما تناول معنى الميتافيزيقيا العام والخاص وربط الجانب الذي دعّم الحداثة وكونت عليه أسسها فقال:" فالميتافيزيقيا العامة والتي كانت تتضمن الأنطولوجيا والمنطق، بينما كانت الميتافيزيقيا الخاصة والتي تضمنت اللاهوت المعقلن وعلم الكون المعقلن والأنتروبولوجيا المعقلنة"[2]، إذ نلاحظ في الطرف الثاني عملية إخضاع مجالات اللاهوت وعلم الكون والأنتروبولوجيا إلى العقل وما يقتضيه من تعامل منطقي وعلمي لمجريات الأحداث؛ فيساعد ذلك على فهمها وكيفية تسيير مجرياتها، عكس ما تبحث فيه الميتافيزيقيا العامة في مجال الكليات والمطلق من الأحداث وتفسيرها التقليدي في ذلك.

كما أن إقصاء التفاسير التقليدية غير المباشر يوضح لنا أن للحداثة مساع معرفية ترنو لتحقيقها خاصة حين تعمدت تجاوز كل ما قد سيطر في الفترة الزمنية السابقة، لتغير بذلك طرق معالجتها وتفسيرها للظواهر فنجدها: " تهدف إلى غايتين بأن تجعل الإنسان حاكما ومالكا للطبيعة، وبأن تجعل الحرية البشرية أمرا ممكنا "[3]، إذ أن الأمر

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 671–683	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

هنا يقترن بالطبيعة والحرية ومدى تمكن الإنسان منهما؛ في حين أن عقلانيته العلمية تؤهله لأن يصير متحكما في شؤون الطبيعة وقضاياها؛ فيتعالى بذلك ويصير مهيمنا يدير الشؤون وفق ما تمليه عليه نظرته، خاصة بعد الاستخدام المثالي للعقل وتجريبه على مختلف الظواهر التي استعصى على الإنسان السيطرة عليها سابقا نظرا لصفاتها الحتمية والمطلقة.

ومن هذا التصور نجد أن الإنسان قد جُعل قابلا للانسجام مع مفاهيم عالم الطبيعة – المادة– الذي تتواجد الحقيقة المطلقة فيه – سابقا–، بيد أن هذا الأمر قد تجلى بفعل الاستنارة التي شملت كل زوايا هذا الفضاء؛ فأدى ذلك إلى تراكم المعارف وتكوين بيئة صلبة بمفاهيم مركزية صيرت الإنسان بعقلانيته يخمن في تفسير أنساق الظواهر و تمثلاتها دون الحاجة لأطراف بديلة تشاركه السلطة على الواقع وماديته، وقد تطرق عبد الوهاب المسيري إلى هذا الطرح فقال:" ببساطة شديدة يوجد واقع مادي وعقل إنساني، وهذا العقل الإنساني قادر على التفاعل مع هذا الواقع وعلى توليد منظومات معرفية، ومن خلال التفاعل المستمر تتراكم المعرفة فيتقدم الإنسان دائما إلى الأمام"[4]، فالواقع المادي ينعكس في الطبيعة ويجعلنا نستوعب تسلط الإنسان بتوظيفه لعقلانيته العلمية التي تتيح له القدرة على إنتاج معرفة تُحدث استنارة توضح له معالم إنشاء عالم خاص يكون هو المركز فيه بمرتبة تحيله إلى التقدم والتطور.

و في ظل الاستنارة المؤدية إلى تراكم المعارف وتقدم الإنسان، يرى المسيري في سياق آخر أن الاتجاه الحداثي ذاته يقوم على فلسفة تاريخية ؛ ليشتغل على دراسة الظواهر من جوانب قبلية وبعدية كي تسهم مع الإنسان في تقدمه نحو مستقبل يضمن فيه البقاء مسيطرا داخل وضع يسوده التقدم والتطور، فقال في هذا الصدد:" لقد بينت رشيدة تريكي في كتابها (فلسفة الحداثة) أن المعاني التي يزخر بها تصور الحداثة كلها تصب داخل حقل فلسفة التاريخ "[5]، وهذا دليل على أن الحداثة تعتمد على كل ما هو قديم، فتستخدمه في سياق جديد وزمن غير زمنه ليصير بذلك معطيات تتقدم بالمعاني وتصبح سببا في تطور المجتمع وتساير الواقع بتحدياته دون معزل عن التاريخ.

2.2 أزمة الحداثة: من الاستنارة المظلمة إلى ما بعد الحداثة

يُعدّ التاريخ من هذا المنظور ووفق هذا السياق من المبادئ التي رسّخت مركزية الحداثة ورغّبت في التحيز إليها لمدة معينة؛ بالإضافة إلى اعتماد الثنائيات الضدية كتفسير للواقع واعتبار العقل الإنساني سبب الاستنارة التي مهدت للموضوعية والعلمية في دراسة الظواهر الطبيعية بأن جعلت الإنسان الغربي متحيزا إليه ويدير شؤونها:" ونعني بالتحيز هنا التحيز المرتبط بالنزعة المتسلطة التي تنتصر لقناعة القوي بغض النظر عن عدالتها وارتباطها بالقيم الإنسانية السامية، لذا يمكن نعت هذا التحيز بأنه التحيز الإمبريالي الاستعلائي والذي ينطوي على بعدين في طياته: الأول "نرجسي" يجعل الفكر منحبسا عند تصورات معينة مستقاة من روافد مركزياته وتكوينه الثقافي الخاص ويستغل أدوات قوته في فرضها، والثاني إقصائي لا يقبل تصورات أخرى يمكن أن تهدم تحيزاته ممّا يعني مزيدا من

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 671–683	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

استعلاء الذات، يضاده مزيد من التحقير/ التهوين / النفي للآخر"[6]، فالقوة هنا سبب كفيل يجعل من التحيز للسلطة التقليدية قائما بغض النظر عن القيم الأساسية الغائبة و التي لابد من توفرها في بناء المجتمعات، وهو أمر استحسنته القوى الغربية بأن غُيب هذه المثل خدمة لمصالحها الخاصة وتدعيما لمشاريعها المتنوعة وقوالبها الجاهزة المغرية تارة والمُعنّفة تارة أخرى، إلا أن التطور في مسايرة اشتغال العقلانية العلمية وتتبع آثارها أدى إلى التنازل عن بعض الحقائق المتوصل إليها، فزال بذلك الاحتكام إلى عنصر الثنائيات الضدية إثر اكتشاف بعض الثغرات داخلها، وقد صرّح المسيري في هذا الشأن فقال:" وقد تطورت عن الصورة المجازية العضوية صورتان مجازيتان أساسيتان: الجسد ثم الجنس، فبعد أن كان الإنسان يُردّ إلى الطبيعة / المادة، أصبح يُرد تدريجيا إلى الجسد كمحاولة لتجاوز ثنائية الذات والموضوع وكل الثنائيات الأخرى"[7]، فها هي أزمة الحداثة قد شرعت في الظهور بداية من تحرر الإنسان من قيود عقلانيته وهيمنته على الطبيعة وهيمنة الطبيعة عليه بأن جعلت الجسد محلا للدراسة بدلا من العقل؛ وتطبيق ذلك على مختلف الثنائيات وتعديها، فكرّست مبادئ الحداثة التي كانت في الأخير سبب انهيار القواعد التي أسست عليها الحداثة هيكلها وسلطتها.

وبالرغم من كل المعارف التي خصصت الحداثة جهودها لإنتاجها والعمل بها كالاستنارة؛ فقد انعكست خصائص هذه الأخيرة سلبا حين صارت استنارة مظلمة كشفت عدة تناقضات أفشلت النظام الحداثي وأسقطت قواعده، وقد ذكر بيكو ديلا ميراندیلا ذلك فقال: "وكان الافتراض أن هذه المعرفة هي التي تضفي على الإنسان مركزيته في الكون، وهي التي ستمكنه من تجاوز عامل الطبيعة بل وذاته الطبيعية، ومن تغيير العالم والتحكم فيه، بحيث يصبح الإنسان إلها أو بديلا للإله أو لا حاجة به إليه"[8]، فغاية الحداثة كانت جعل المركزية للإنسان إذ أمدته بسلطة يهيمن بها على الذات الطبيعية والعالم و أنظمته دون الحاجة إلى إله، غير أنّ هذه المعارف انقلبت سلبا فصارت الاستنارة وهمية تأصل لغير ما وُضعت له الأنظمة الحداثية، فنتج تجاوزٌ للثنائيات وغابت إثرها العقلانية العلمية مما أدى إلى تفكيك التناقضات وإبراز العيوب التي عبثت بمبادئ هذا الاتجاه وأودت به إلى الدخول في متاهات عمقت غموضها، إضافة إلى ذلك نذكر أسباب أخر منها تلك الافتراضات الفلسفية التي لا يمكن تقبلها عبر تكامل العقول ووجود الكل في الواقع والعقل..إلخ، فلو كان للإنسان أن يتحكم في الواقع لصار يتمتع بالمعرفة الكاملة المؤدية إلى انتهاء التاريخ، وهذا ما أكد عليه المسيري في محاضرته فقال:" إن أصبح كل شيء معلوما للإنسان فهي لحظة تحكم كاملة، هي لحظة معرفة كاملة أي أن الإنسان أصبح إلها بهذه الطريقة، وبالتالي ينتهي التاريخ، فهذا هو الوهم الأساسي"[9]، من هنا يتضح لنا أن المعرفة الكاملة وهم قدمته الحداثة وبنت عليه أهدافها؛ فجعلت من الإنسان مركزا إثر سيطرته المطلقة عبر قوة اكتسبها من الفكر الاستناري ظاهريا، إلا أن الأصل في الوجود هو التغير الدائم كحركية الأنظمة والمفاهيم وعدم ثباتها؛ وبالتالي فهذا طرح جعلنا نقول باستحالة الوصول

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 671–683	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

إلى المطلق من المعاني ولا بد للحقيقة أن تكون ناقصة، لأن العقل البشري قاصر على إدراك كل هذا ولو وصل لانتهى التاريخ ولتوقفت المسيرة.

هذا من جانب، وأمّا ما أسفرت عليه خبايا الحربين العالميتين وأطماع أصحابها المادية مزامنة مع ظهور الهولوكوست وزيادة الإبادة الجماعية...إلخ ومختلف الإقصاءات بما في ذلك موضوع المرأة، قد أكدت على خاصية نمطية التعامل التي تستعين بها هته الأنظمة، وكمثال على ذلك نجد تصور الهيمنة خاصتهم وطريقة بناءه حسب غاري غويرتز و آيمي مازور حين تناولا علاقتها بإقصاء المرأة فقالا:" إن الإلحاح الدائم بتوالي إقصاء النساء من معايير الديمقراطية، نظرا للإزعاج الذي ستسببه بوجودها للعلوم ونظرياتها وتفسيراتها، ما هو إلا تحقير تام لفهمنا الأخير للديمقراطية"[10]، وعليه فإن مختلف تبعات هذا التيار قد عادت عليه بالسلب خصوصا حين مست العديد من أطيافه المشكلة له بما في ذلك المرأة؛ وهذا ما سيؤدي حتما للثورة على القيم التقليدية التي هيأت للسرديات الكبرى ويُمكن اعتباره سببا كفيلا أكد على سلبية الاتجاه الحداثي وخطورة غاياته، وقد ذكر مايكل ألين جيلسبي ذلك في كتابه فقال:" تمتكت فكرة الإيمان في المشروع الحداثي وفي فكرة التقدمية بسبب الأحداث التي حصلت في النصف الأول من القرن العشرين"[11]، وما نخرج به من هذا الطرح يُعد دليلا على بداية نهاية المشروع الحداثي الذي شارك فيك أطياف عدة كمهيمنين وتابعين تربطهم علاقة ما في نفس الوقت وهو أمر يجب أن ندركه، وعليه:" الشيء الأساسي الذي يجب فهمه حول النظام الأبوي أو أي نظام آخر هو أنه يشارك فيه الناس وهو عبارة عن ترتيب من الفهم المشترك والعلاقات التي تربط الناس ببعضهم البعض.."[12]، فهذا النظام قائم على مجموعة من العلاقات تؤطرها وعود وشروط وقوانين تؤسسها الجهات العليا قد مضى في مشروعه؛ خاصة وأنه قد حقق أهدافا تختلف تماما عن الوعود التي تم تقديمها كواجهة له سابقا، فاستخدمها للمصلحة الخاصة لهيمنة وسيطرة دون أن تحمل الفائدة للعامة، وهذا ما أفسح المجال إلى وجوب النظر في اتجاه مضاد يحقق أهدافا نفعية تخدم المجتمعات بإنسانية، ليظهر ما يسمى بتيار ما بعد الحداثة .

و قد لُقّب هذا التيار بما بعد الحداثة إذ عُدّ فلسفة تسعى لإنهاء الحداثة وميتافيزيقيا جديدة تود إنهاء ميتافيزيقيا سبقتها، لذا:" ففكر ما بعد الحداثة فكر تقويض معاد للعقلانية وللكليات، سواء كانت دينية أم مادية، فهو فكر يحاول أن يهرب تماما من الميتافيزيقيا ومن الحقيقة والمركزية والثبات، ويحاول أن يظل غارقا في الصيرورة، فهو تعبير متبلور عن المادية الجديدة السائلة، شأنه في هذا شأن التفكيكية "[13]، فما بعد الحداثة حركة بدأت بتفكيك كل ما سبق من الأنظمة و الأفكار التي اعتبرت كليات ميتافيزيقية قوامها العقل؛ كما أنها رفضت وجود سرديات كبرى ادعت الحقيقة والثبات فاختلقت ما يسمى بأخرى صغرى من صفاتها الديناميكية والصيرورة والتغير دون الثبات، وما نجده أدبيا في مشروع عبد الله الغذامي التفكيكي دليل على استمرار هذا المشروع التقويضي وجعل السلطة بيد القارئ، حيث رأت الباحثة فاطمة الزهراء سليليح ما يلي:" فمن خلال هذا ربط

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 671–683	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الغذامي القراءة التشريحية بسلطة القارئ حيث يحاول هذا الأخير بحركة مزدوجة تبدأ بربط النص كجنس أدبي يمثل الوحدة الكبرى بالسياق ثم تقسيمه إلى أجزاء ووحدات صغرى ليبني نصا آخر يتداخل مع السياق .."[14]والنموذج في ذلك ما أظهره دريدا في تفكيكيته أيضا بهدف جعل المادة – الصلبة سابقا- سائلة تهدف إلى الاستهلاك واللذة والحرية؛ عكس البحث عن الواحدية الدلالية والتعصب لرأيها، فالمعنى صار نسبيا في سيولة كشفت اختلالات أسس الحداثة وقوضت مفاهيمها الوهمية.

3. الإرجاء والسيرورة اللانهائية للدلالة

يرى نقاد ما بعد الحداثة في تفكيكهم للسرديات الكبرى بأنها تتصف بعدم ثبات الدلالات فتؤثر بذلك سلبا على نشأة الهوية وتكوينها – لأن التزام هذه الأخيرة بمركزية واحدة يجعلها تشكل ثقافة مجتمع ما، فيستقر على مبادئ لا يمكن التشكيك فيها ولا يُستطاع زعزعتها –، وهذا ما فضح سياسة الاستعمار مثلا ونظرته الدونية للسود من خلال لجوءه للحقيقة الواحدية، فيقول الباحث زهير محمود حتى يدعم هذا الطرح ما يلي:" وقد صاحب ذلك الاهتمام التخلف والتوحش للشعوب الأفريقية ترويض فكرة إنسانية تنويرية لخدمة المصالح الاستعمارية، وهي أنه من واجب الرجل الأبيض- اقتداء بتضحيته المسيح- أن يرفع من مستوى إخوته في الإنسانية الذين لم يسعفهم الحظ في الرقي، فيحمل من أجل رفاقه في البشرية ضروب الآلام "[15] فالثبات على أن السود متوحشون والرجل الأبيض في مقام المنقذ فكر وجب تقويضه والانفتاح على معان أخر؛ وبالتالي فعدم الاستقرار هذا يوحي بتعددية المعاني التي تحيلنا إلى جوهر واحد يفضي إلى تغييب مركزية الحقيقة المطلقة، فالدلالات مؤجلة لأنها تراعي السياق وتخضع لمرجعيات قد ينتج عنها إرجاء يحسم الهيمنة على المركز أو الأصل الذي سبق اللجوء إليه والتمركز تحت سلطته، ويقول المسيري في هذا الشأن: " وكلما ازدادت تعددية النص تعذر بل استحال الوصول إلى (أصل) سواء أكان صوت المؤلف أم مضمونا يحاكي الواقع أو حقيقة فلسفية"[16]، فهذا الطرح يسلط الضوء على تعدد معاني النصوص مما يجعل الوصول إلى المطلق منها غير نهائي بسبب إرجاء الدلالات وتأجيلها، وهو طرح قد صادفناه في مسرحية الكاتب النيجيري وول شوينكا عبر عدة محطات نذكر منها الصراع الذي حدث بين أهم شخصيات المسرحية وهما "كونجى" و "أوبا دانلولا"، إذ أن هذا التراع أخذ مركزيته على حساب خلفيات أظهرت توتر الأجواء؛ فكونجى حين تزعم تيار الاستعمار بطريقته الحداثية أتى بقيم تتنافى مع ما كان عليه النظام التقليدي الذي يتزعمه أوبا دانلولا بقبيلة اليوروبا، وقدّم مظهرا من مظاهر الإرجاء المناهض للفكر الحداثي وأسسه وقد ظهر في النص كالتالي:

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 671–683	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

" السكرتير: اللعنة على معدتك الجشعة (يدخل كونجى وينهض الجميع في الحال لاستقباله)" [17]

وبالتالي فإن مفهوم الإرجاء يتضح كلية في الملفوظ السابق؛ إذ تجسد العبارة في شقها المادي رغبة الأتباع في إشباع اللذة البشرية فقط، وهذا ما لم يتم التمكن منه بل صار مؤجلا لمحاولات أخرى قد لا يتم حصرها، حتى يجعل من الاستهلاك خاصية في ديمومة دون انقطاع، على غرار أن إشباع اللذة في هذه الحالة هو أمر مؤقت لدى المجتمع الاستهلاكي ولن يتم استيفاءه كاملا. ونجد تمظهرا آخر لمفهوم الإرجاء في قوله:

"إن صورة الزعيم الملائمة لخطة التنمية القادمة يجب أن تبدو في صورة الأب المحب لخير الأمة، وسوف ينعكس هذا في احتفالاتنا بعيد الحصاد"[18].

فهذه الازدواجية التي اتصف بها أتباع كونجى في الخطاب السابق قد جسدتها ملفوظات خطابية بتلاؤم تام لمّا أحالتنا إلى سلطته التي مارسها على الأقربين أيضا، :" فإرادة القوة يصاحبه قدرة الذات على إصدار المعنى، وعليه ينبغي التشكيك في ظهور الدلالة وهذا ما يتوافق معه نيتشه متأملا في توافق الأحاسيس عن الطريقة التي ظهرت بها الصور، ثم الكلمات، وأخيرا المفاهيم داخل الروح"[19]، إذ ساهمت حينها أفعال الكلام الموظفة في رسم صورة الزعيم بوجهين مختلفين، لأن الفعل (يبدو) في دلالته المباشرة ينقلنا إلى رغبة سلطة كونجى في احترام العادات التقليدية للمنطقة فتكون بذلك سبيلا للتوغل في نفوس الفلاحين وكسب محبتهم، بيد أن الدلالة غير المباشرة والسياق الذي وردت فيه توحي بمقصدية هذا الحاكم أثناء رغبته في امتلاك الجميع، مع طموحه في تغيير التقاليد التي نشأت عليها قبيلة أوبا دانلولا والتحكم فيها، لذا فإن إرجاء المنفعة لدى المجتمع الاستهلاكي واستبدالها بالرغبة في تحقيق اللذة فقط وازدواجية خصائص القائد كونجى مفهومان قد أجلا الدلالة النهائية التي يُراد الوصول إليها حتى تظل الأحداث بهذه الوتيرة في ظل تعدد سياقاتها.

ومن ثم فإن تأويل هذه المحكيات وفق هذا المنحى يوحي بالطريقة الدقيقة التي تم استخدامها، وعليه:" فلا تتراصف هذه الملفوظات بطريقة اعتباطية بقدر ما تكون داخل إستراتيجية خطابية وبنية نصية ترتبط بمنطق الخطاب التداولي وديناميته الداخلية "[20]، وبالتالي فالترابط الحاصل بين الملفوظات الخطابية السابقة خاصة في قوله (يجب أن تبدو) شكلت لنا دلالة تجعل المتلقي بين موقفين متناقضين قد اتصف بهما كونجى في خطابه، غير أن رغبته في الوصول إلى هدفه السلطوي تلاءمت نوعا ما مع الطرق الملتوية التي استغلها كتبيان حبه للفلاحين حتى يبرر بها فساده.

كما نجد السارد في سياق آخر يؤكد على عدم اتزان كونجى وتهوره لأجل الحكم، ويظهر ذلك في الملفوظ الخطابي الذي قصد به إهانة رمز من رموز اليوروبا وهو الأب الروحي لديهم أمام الملإ وبين سكان قبيلته فقال:

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 671–683	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

" الأول: لقد حددت الدولة إقامته وجردته من كل اختصاصاته فما هي المشكلة بالضبط؟

الرابع: إعلان خضوعه أمام الجماهير علنا، لا بد أن يتحقق لكونجى استسلامه الكامل أمام الناس.

الأول: لن تحصل أبدا على هذا المطلب، فأنا أعرف هذا الشيخ العجوز العنيد "[21]

وإذا ما نظرنا إلى الملفوظ السابق وأخذنا على سبيل المثال الفعل (لن تحصل) من منظور التداولية نجده قد أرجأ حصول كونجى على سلطته النهائية؛ خاصة حين نتناوله من جانب الاستلزام التخاطبي فهو ينفي بشدة استسلام أوبا دانلولا واعتبره أمرا يستحيل حدوثه، والصفات التي وردت حينها تؤكد على ذلك في قوله:"هذا الشيخ العجوز العنيد" وعليه فقد أُبعد كونجى عن فرصة حصوله على الحكم إلى حين استقرار النتائج وعدم إرجائها.

و تظهر في نفس السياق أيضا صفات لأوبا دانلولا بشقها الثاني، إذ تتجلى لنا ملفوظات خطابية آتية اعتُبرت كتحدٍّ لسلطة كونجى ومساندة جميع أفراد قبيلة دانلولا له كونهم أبانوا على خضوع تام وتفاعل لا متناه، فمعرفة هذا القصد أمر مفيد للغاية لأنه يرسم الطريق لتقبل الدلالات وفهمها فهما أعمق، لذلك " فإن الخلفية المعرفية للمشتركين في الخطاب مهمة "[22] وقد صرّح السارد في هذا الصدد ليقول:

" دانلولا: (في حالة استرخاء مفاجئ)...وأنت أيها العبد لابس الزي الكاكي والأزرار النحاسية، يليق بك أن تلعق بصاق سيدك وأن تتباهى.

المراقب: (يلتفت إلى شارومي) انتبه، وأفضل لك أن تحذره.

شارومي: حين يتحدث الأب فإننا لا ننصت إلى صوت الكلاب."[23].

إن نجاح أفعال الكلام في هذا الخطاب قد أكد على الموقف الثابت لأوبا دانلولا، ليستخدم شوينكا الاستعارة بالتعاون مع الأفعال الكلامية كوسيلة لإهانة شخص في مقام عسكري حين قال له :"يليق بك أن تلعق بصاق سيدك وأن تتباهي" إذ صيّره في مرتبة دنيئة حتى يوضح قدرة دانلولا على ضبط نفسه واسترخائه رغم قساوة خطابه تجاه جماعة الديكتاتور كونجى وعدم الخوف منهم،" فالخطاب إذًا بحسب غارندر هو إنتاج مشترك وسيرورة دينامية ترتكز على تفاعل دائم بين المتكلم والمجتمع "[24]، ومن خلال هذا الطرح الذي قدمه حافظ اسماعيلي نجده يدعم موقف المراقب في هذه الحالة إذ ما كان عليه سوى أن يعبر عن تذمره ومخاطبة شارومي بأسلوب غير مباشر يهدد فيه زعيمهم، فيظهر الاستلزام الحواري أيضا في الخرق الحاصل للقواعد وظهور دلالة غير طبيعية عبر الأفعال " انتبه" و " أن تحذره"، حيث تعتبر أفعالا كلامية ناجحة كونها أوحت برسائل مشفرة عن التهديد الشديد لطرف لم يُوجه إليه الخطاب في حد ذاته.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 671–683	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وإذا ما تناولنا ملفوظ شوينكا لّما قال:

" دانلولا: ...صديقي الطيب أنت أوقفت طبولي.

لكن هذه الطبول قد أخرست تماما حين أسقط كونجى دعائم حكمي، وطرد الشيوخ القدامى من مقاعدهم، ماذا يكون الملك بدون عشيرته من الشيوخ "[25]، يتراءى لنا تداوليا تواتر مجموعة رموز توحي بدلالات يقتضيها السياق الذي وردت فيه، "فقرع الطبول ووجود الشيوخ القدامى" رموز تقليدية أسست دعائم قبيلة اليوروبا، غير أنها أُعقبت بأفعال كلامية تمثلت في قوله:" أوقفت، و قد أخرست، و طرد" فمن ناحية يمكن أن نعتبرها إيجابية الأداء كونها في تفاعلها توحي بقساوة الموقف والوضع الحرج الذي يعيشة الزعيم المخلوع أوبا دانلولا.

كما أن الاستلزام الحواري يتجلى في السؤال الذي ختم به دانلولا في قوله:" **ماذا يكون الملك بدون عشيرته من الشيوخ؟**" فهذا السؤال في ظاهره مباشر والإجابة عنه منعدمة؛ مع أن الدلالة غير الطبيعية التي يتضمنها تقتضي سياقا آخر يوحي بأن سلطته لم تنته بعد وأن كونجى قد تأجلت هيمنه وفق ما يمليه عليه فكره، لذا "إن التحليل التداولي للغة لا يرتكز على العلامات في ذاتها ولا يتعامل معها بشكل مستقل؛ بل يرتكز على الذين يستخدمونها وعلى النتائج التي يحدثها هؤلاء المستخدمون في إطار التفاعل التواصلي للحياة الواقعية "[26]، إذ أن الشخصية الأولى وهي أوبا دانلولا زعيم اليوروبا لازال يعتبر نفسه المالك، فالتأويل المتاح في هذا المقام عبر تعاون مع السياق يوحي بشراسة الزعيم التقليدي وتصديه اللامتناهي للدكتاتور بفعالية تظهر في عدم خضوعه لهيمنته وإرجاء تمكينه من التسلط النهائي.

ختاما تجدنا لا زلنا نبحث عن طرف من أطراف الصراع – سواء كونجى و أوبا دانلولا- قد تميزت أهدافه بالفائدة وتنوعت إستراتيجيات معالجته للقضايا بين الفعالية والحنكة؛ فكونجى وسياساته غير المتزنة رفقة ازدواجية تعامله مع أعداءه للحصول على هيمنة تكسبه مراده، أحدث صراعا مع أوبا دانلولا وشكل توترا بين قيم وثقافات يرى كل طرف منها أنه على صواب، مما أفقده مركزيةً وجب على الهوية تبنيها حتى تكون مرجعا يقتدي به المغلوب أو التابع؛ فهذا يجعلنا أمام عالم رغم كبر أحداثه إلا أن تراوحها بين عدم الهيكلة والتأسيس يجعل منها متواضعة مقارنة بما تم التخطيط له وكذا الإمكانات المستخدمة في سبيله، ليقول إدوارد سعيد في هذا الشأن:" إنك لا تستطيع في مكان بالغ الصغر أن ترى بوضوح، لا تستطيع أن ترى بوضوح، لا تستطيع أن تجد التنظيم أو تحصل على اهتمام من النمط اللائق"[27]، وبالتالي فغياب الهيكل التنظيمي للأحداث عامة يفتح الباب أمام أخطاء وتناقضات تكسب أطرافها خيبة وتصادما مع واقع أرجأ كل مركزية أُريد تحقيقها، وهذا ما وصلنا إليه من خلال المقاطع السابقة من مسرحية حصاد كونجى.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 671–683	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

4. الخاتمة:

يُعد الانطلاق من المبادئ التي اعتُبرت مسلمات بنت عليها الحداثة أسسها ويليها الكشف عن التناقضات التي اعترتها جراء التطور العلمي أولى مظاهر تَجَسُّد فلسفة ما بعد الحداثة، إذ شكّلت تيارا شكك في المركزيات السابقة وفتح باب التأويل على مختلف الدلالات، وقد خلصنا بعد هذا التحليل إلى النقاط التالية:

– إن التعامل العقلاني تجاه عالم الطبيعة (المادة) وظهور الفكر الاستناري من أهم الأمور التي جعلت الإنسان يتجاوز مجموعة من الأحكام الحداثية التي كانت في السابق أسسا لا يمكن الخروج عنها.

– ظهور فلسفة ما بعد الحداثة يعتبر رد فعل على الوهم الذي كشفه التطور العلمي، إذ تم التشكيك حينها في الافتراضات التي قدمتها الحداثة بسردياتها الكبرى وحقائقها المطلقة واستبدالها بسرديات صغرى تخضع مبادئها للصيرورة والديناميكية.

– من أهم القضايا النقدية التي نشأت جرّاء فكر ما بعد الحداثة مفهوم إرجاء الدلالات بهدف فتح باب للتأويل حتى تصير المعاني متعددة وغير ثابتة.

– يُصنّف السياق الوارد في مسرحية حصاد كونجى لوول شوينكا فضاء تجسد عبره مفهوم الإرجاء، إذ تم تجاوز أنساق السرديات الكبرى والثنائيات الضدية، في حين أنه قد انفتح على فكر حداثي قد ثار على التقليدي منه.

– تجلى مفهوم الإرجاء خطابيا في مسرحية حصاد كونجى عبر تناول خاصية المجتمع الاستهلاكي الذي يدعو لتتبع اللذة المؤقتة دون المنفعة الدائمة، رفقة الازدواجية التي اتسم بها القائد كونجى فهي التي جعلتنا لا نقف على معنى نهائي بل فتحت المجال لعدة تأويلات يتحكم فيها السياق ذاته.

– المفاهيم التي تعكس مفهوم الإرجاء عبر الملفوظات الخطابية المقدمة في مسرحية حصاد كونجى قدمت وصفا دقيقا للفكر الاستعماري وطريقة معالجته للأحداث خاصة من جانبها السلبي، وهذا ما فتح الباب للمتلقي عموما والشعوب المضطهدة على وجه الخصوص لإعادة تشكيل الوعي ومجابهة الاستعمار.

5. الهوامش:

[1]– ينظر مايكل ألين جلسبي: الجذور اللاهوتية للحداثة، تر: فيصل بن أحمد الفرهود،2019 ، ط1، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص، 24.

[2]– المرجع السابق، ص، 28.

[3]– المرجع نفسه ، ص، 60.

[44]– عبد الوهاب المسيري:التيارات الفكرية المعاصرة وآثارها في الشرق المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 09فبراير 1994، https://www.youtube.com/watch?v=9XbP-3l2_H4&t=4637s ، الدقيقة، 15:45.

[5]– عبد الوهاب المسيري: فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ص،182.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 671–683	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

[6]- مصطفى عطية جمعة محمود،(2019) مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريريج، العدد 1، ديسمبر ، ص،71.

[7]– عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة ، مرجع سابق، ص، 38.

[8]– المرجع نفسه، ص، 17.

[9]– عبد الوهاب المسيري: التيارات الفكرية المعاصرة وآثارها في الشرق المسلم، مرجع سابق، الدقيقة، 19:18.

[10] -Gary Goertz, and Amy G.Mazur, politics gender and compts, theory and methodology, Cambridge university press, Unitrd states of America, 2008, p, 70.

[11]– مايكل ألين جيلسبي: مرجع سابق، ص، 20.

[12] -ALLANG JOJANSON, the gender knot , temple university press, Philadelphia, 2014, p32.

[13]– عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة ، مرجع سابق، ص، 112.

[14]- فاطمة الزهراء سليليح، التفكيك والاشتغال على رؤى جاك دريدا في النقد العربي المعاصر، (2026)، مجلة دراسات، جامعة طاهري محمد بشاؤر، المجلد 15، العدد10، جوان، ص، 549.

[15]– زهير حمود، الزنوجة ودورها في بعث حركة الأدب الإفريقي، (2018)، مجلة دراسات معاصرة، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصر، المركز الجامعي تيسمسيلت، السنة 2 المجلد2، العدد2، جويلية، ص، 61.

[16]– عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: مرجع سابق، ص، 107.

[17]– وول شوينكا: حصاد كونجى/سكان المستنقع، تر، نسيم مجلي، 1999، الهيئة العامة للشؤون الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة، ص، 42.

[18] – المرجع نفسه، ص، 43.

[19]- Jaques Derrida, Of Grammatology,Tr,Gayatri Spivak, Motilal Bamarsidass Publishers private limitied,Delhi, firstimidian Edition, 1944, P,28-29

[20]– نبيل محمد صغير، (2021)خطاب النبي إبراهيم مع أبيه آزر: مقاربة تداولية من منظور نظرية أفعال الكلام، مجلة (لغة–كلام)، مخبر اللغة والتواصل، جامعة غليزان، الجزائر، مج 7، ع1، ص، 148.

[21]– وول شوينكا:حصاد كونجى/سكان المستنقع، مرجع سابق، ص، 44.

[22]– نبيل محمد صغير، مرجع سابق، ص، 150.

[23]– وول شوينكا: حصاد كونجى/سكان المستنقع، مرجع سابق، ص، 20.

[24]– حافظ اسماعيلي علوي وآخرون، تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2016، ص، 20.

[25]– وول شوينكا: حصاد كونجى/سكان المستنقع، مرجع سابق، ص، 20–21.

[26]– الفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر، محمد تنفو وليلى احمياني، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة، ط01، 2018، ص، 19.

[27]– إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب،2014، ط4، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص،155.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 671–683 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

6.قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

- إدوارد سعيد(2014)، الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4 .
- الفي بولان(2018)، المقاربة التداولية للأدب، تر، محمد تنفو وليلى احمياني، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة، ط01.
- حافظ اسماعيلي علوي وآخرون(2016)، تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط01.
- عبد الوهاب المسيري(1994)، التيارات الفكرية المعاصرة وآثارها في الشرق المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- عبد الوهاب المسيري: فتحي التريكي (2003)،الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق.
- مايكل ألين جلسبي (2019)، الجذور اللاهوتية للحداثة، تر: فيصل بن أحمد الفرهود، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1.
- وول شوينكا (1911)،حصاد كونجى/سكان المستنقع، تر، نسيم مجلى، الهيئة العامة للشؤون الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة.

المراجع باللغة الأجنبية:

1.ALLANG JOJANSON , the gender knot , temple university press , Philadelphia, 2014, p, 32.

2.Jaques Derrida, Of Grammatology,Tr,Gayatri Spivak, Motilal Bamarsidass Publishers private limitied,Delhi, firstimidian Edition, 1944.

3.Gary Goertz, and Amy G.Mazur, politics gender and compts, theory and methodology, Cambridge university press, Unitrd states of America, 2008, p, 70.

المجلات:

- زهير حمود، الزنوجة ودورها في بعث حركة الأدب الإفريقي، (**2018**)، مجلة دراسات معاصرة، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصر، المركز الجامعي تيسمسيلت، السنة 2 المجلد2، العدد2، جويلية.
- مصطفى عطية جمعة محمود،(**2019**) مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريريج، العدد 1، ديسمبر.
- نبيل محمد صغير، (**2021**)خطاب النبي إبراهيم مع أبيه آزر، مقاربة تداولية من منظور نظرية أفعال الكلام، مجلة (لغة–كلام)، مخبر اللغة والتواصل، جامعة غليزان، الجزائر، مج 7، ع1.
- فاطمة الزهراء سليليح، التفكيك والاشتغال على رؤى جاك دريدا في النقد العربي المعاصر، (**2026**)، مجلة دراسات، جامعة طاهري محمد بشاؤر، المجلد 15، العدد10، جوان.